بسم الله الرحمن الرحيم

المبدأ والمعاد

للحكيم الإلهي الفيلسوف الربّاني

صدر الدّين محمّد بن إبراهيم بن قوام الشيرازيّ (ت ١٠٥٠هـ)

مع حواشي الحكيم المتألّه الملّا هادي السبزواريّ

تحقيق وتعليق

هادي رستكار مقدّم الجوهري

www.ketab.ir

سرشناسه صدرالدين شيرازى، محمّد بن ابراهيم، ۹۷۹-۱۰۵۰ق.
عنوان و نام پديدآور المبدأ والمعاد/ صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن قوام الشيرازي (ت ۱۰۵۰ هـ)؛ مع حواشي هادي السبزواريّ؛ تحقيق و تعليق هادي رستكار مقدم الجوهريّ.
مشخصات نشر مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ۱٤۳۹ق.=۱۳۹٦ش.
مشخصات ظاهری ۸۱٤ ص.
شابک ISB 978-600-06-0235-2
وضعيت فهرست‌نويسی فيپا.
يادداشت عربي
يادداشت کتابنامه: به صورت زيرنويس.
موضوع فلسفه اسلامی -- متون قديمی تا قرن ۱۴.
موضوع معاد -- متون قديمی تا قرن ۱۴.
موضوع هستی‌شناسی -- متون قديمی تا قرن ۱۴.
شناسه افزوده سبزواری، هادی‌بن مهدی، ۱۲۱۲ - ۱۲۹۰ق.
شناسه افزوده رستکار مقدم گوهری، هادی، ۱۳۳۸ -.
شناسه افزوده بنیاد پژوهشهای اسلامی.
رده بندی دیویی ۱۸۶/۱
رده بندی کنگره BPR ۱۱۰۹/۱۳۹
شماره کتابشناسی ملی ۵۱۳۰۰۷۵

www.ketab.ir

العتبة الرضوية المقدّسة
مجمع البحوث الإسلامية

المبدأ والمعاد

صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن قوام الشيرازي

مع حواشي الملّا هادي السبزواريّ

تحقيق و تعليق هادي رستكار مقدّم الجوهريّ

الطبعة الأولى: ۱٤۳۹ق / ۱۳۹۷ش
۲۰۰ نسخة ـ وزيري/ الثمن: ٤۸۰۰۰۰ ريال إيرانيّ
الطباعة: مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ۳٦٦-۹۱۷۳۵
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ۳۲۲۳۰۸۰۳
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ۳۲۲۳۳۹۲۳، (قم)۳۷۷۳۳۰۲۹
www.islamic-rf.ir info @islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مقدّمة المحقّق

الحمد لله الّذي رفع التّراب الذّليل إلى لوحة الإنسانيّة بنبيّنا الخاتم وخاتم الأنبياء محمّد المصطفى ﷺ، وجعل حبّه في صميم قلبها الصنوبريّ، وأعلاه في منزل قاب قوسين أو أدنى على قرّباته الأخرى. والصّلاة والسّلام على ابنه الكريم، القائم بقسط الله، وأُذن الله الواعية، يد الله الباسطة، المنتظر، السّامع بإذن ظهوره حتّى يُخرج مخدّرات حقائق الموجودات ويستولي بظلّ الله تعالى على هذه القبّة الدوّارة، ويُخرج حقائق الأسماء والصّفات من حجب النّور والظلمات.

أمّا بعد فقد اطّلعت على أنّ الحكيم السّبزواري كان له حاشية على «المبدأ والمعاد» للملّا صدرا، وقد يشرّح ويبيّن فيها غوامض المباحث، وقد ينتقدها. وبعبارة أخرى: إنّه يجمع بين التّبيين والتّشريح والتّفنيد. وقد عزمت بعد البحث عن نسخ لها، وبعد العثور عليها اقترحت على بعض تلاميذي استنساخها ومقابلتها وتصحيحها، فسعَوا مدة مديدة في الاستنساخ وتقطيع النصّ والمقابلة حسب منهجيّة التحقيق، والحمد لله تعالى الذي وفّقنا للإتمام، وله المنّة في البدء والختام.

المؤلّف

هو المولى العالم المحقّق، الكامل المدقّق، الجامع للمنقول والمعقول، فخر الحكماء والمحقّقين، وواسطة عقد أساطين المتألّهين من نوع الإنسان، مولانا

www.ketab.ir

صدر الدّين محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بـ «صدر المتألّهين» وهو أحد الفلاسفة المسلمين، وبه وجدت الحكمة الإسلاميّة مسيراً جديداً وتطوراً بديعاً انتهى إلى الحكمة المتعالية. وله خصوصيّات في منهجيته الفلسفيّة:

منها ـ إنّه أخذ ابتداءً بفرضيّة، ثم استدلّ على إثباتها بدلائل.

ومنها ـ إنّه غار في آراء الأسلاف من الحكماء، من المشّائين والإشراقيّين، والمتكلّمين والعرفاء وغيرهم، وبعد التبيين والتوضيح، ميّز صحيحها من سقيمها مستعيناً بدلائل عقليّة ـ تأييداً أو ردّاً ـ وذلك أهمّ ملامح منهجه الفلسفيّ.

وهذا هو الّذي يُبرزه شخصيّةً بارزةً فريدةً في الفلسفة الإسلاميّة مع وجود المعلّم الثّاني ابن سينا والطّوسي وغيرهم من الأساطين «رحمهم الله تعالى»، بحيث إنّه كاد أن يكون أسطورة تاريخية. ومن هذه الجهة كان كلّ واحد من تلاميذ مدرسته شعاعاً من شمس وجوده، وغصناً من غرس علمه، وقوّة من قوى حكمته، حتى تمكّنوا أن ينشروا مدرسته العلميّة. وبعبارة أخرى، أصحاب مدرسته كانوا وجوداته العلمية التّداوميّة إلى يومنا هذا. إذ لا يمكنه ﷺ أن يبيّن ويصوّر آراءه وأفكاره وإشاعتها في عصره، فإنّه كان منصرفاً بكلّ قواته إلى تصنيفها وتدوينها أو دفع اتهامات أصحاب الطّفرة والتّفكيك، وإن كانوا جماعة من أصحاب تناهي الأجزاء وأصحاب النّظام القائل بعدم تناهيها، فألزم أصحاب تناهي أصحاب النّظام، أنّه يجب من كون الأجزاء غير متناهية في الجسم أن لا يقطع مسافة محدودة إلّا في زمان غير متناه، لأنّه لابدّ عند الحركة من خروج كلّ جزء من حيّزه ودخوله في حيّز جزء آخر وانتقال جزء غيره إلى حيّزه، فإذا كانت الأجزاء غير متناهية كان زمان القطع غير متناه، فارتكبوا في الجواب القول بالطّفرة، ثمّ ألزموهم أيضاً بأنّ كون الجسم مشتملاً على ما لا يتناهى من الأجزاء يستلزم أن يكون حجمه غير متناه، فالتزموا تداخل الأجزاء.

www.ketab.ir

ثمّ إنّ أصحاب النّظام ألزموا أصحاب تناهي الأجزاء تجزئة الجزء القريب من قطب الرّحى عند حركة البعيد وقطعه جزءاً واحداً؛ لكون القريب أبطأ من البعيد، والتزموا أنّ البطيء يسكن في بعض أزمنة حركة السّريع ولا يكون ذلك إلّا بتفكّك أجزاء الرّحى عند حركتها على مثل دوائر دقيقة بعضها فوق بعض.

و شنّعت كلّ من الطّائفتين على الأخرى، واستمرّ التّشنيع عليهما بالطّفرة والتّفكيك.

و هم غير أصحاب التفكيك في عصرنا هذا، ولذا قال ﷺ أيضاً في وصفهم في بقاء جسميّة الحيوان بعد الموت: «و ما قيل من أنّ الحيوان إذا مات لم يَبقَ جسميّته بعينه بعد الموت، بل حدث جسميّة أخرى؛ غير صحيح. كيف ولا بدّ من مادّة باقية يتوارد عليها الصّور والأعراض سواء كان جسماً بسيطاً أو هيولى. وتلك المادّة هي الجنس القابل للتركّبات، بل جسميّة الحيوان من حيث جسميّتها باقية بعد موته كما كانت، وإن انتفت عنها حيثيّة كونها بدناً أو جسماً حيوانياً. وأمّا أنّ هويّتها قد بطلت وحصلت لها هويّة أخرى، فهو قريب من مجازفات أصحاب الطّفرة والتّفكيك، واستحالة بقاء الأعراض»[1]. وهؤلاء مشتركون في ذمّ الفلاسفة والتشنيع عليهم وتكفيرهم وتقبيحهم. نأمل الله تعالى أن يهدينا إلى الخير، ويهديهم إلى الإنصاف والوجدان والصّراط، إن شاء الله.

إن أهل الدّنيا والمنغمرين في الأوهام كانوا يظلمون الملّا صدرا ويوقعون به شديد الأذى، فمنعوا نشر آثاره وحرّموها، ولهذا السبب نبذوا آراءه ونظريّاته الفخيمة وراء ظهورهم، بحيث اضطرّوه إلى ترك الوطن إلى ديار أخرى. وفي وصف شدّ رحاله قال: «فألجأني خمود الفطنة وجمود الطّبيعة لمعاداة الزّمان وعدم مساعدة الدّوران

---

١. *الأسفار الأربعة*، ج٢، ص٢٤.

www.ketab.ir

إلى أن انزويت في بعض نواحي الدّيار، واستَترت بالخمول والانكسار، منقطع الآمال، منكسر البال، متوقّراً على فرض أؤدّيه، وتفريط في جنب الله أسعى في تلافيه، لا على درس ألقيه أو تأليف أتصرّف فيه، إذ التصرّف في العلوم والصناعات، وإفادة المباحث ودفع المعضلات، وتبيين المقاصد ورفع المشكلات، ممّا يحتاج إلى تصفية الفكر، وتهذيب الخيال عمّا يوجب الملال والاختلال، واستقامة الأوضاع والأحوال مع فراغ البال...»[١].

وبهذا الحصار والتبعيد اختار الانزواء والعزلة عن الخلق متوجّهاً إلى الخالق ربّ العالمين توجّهاً تامّاً، فبه أفاض الله تعالى عليه إفاضات كثيرة. وفي بيان حالات نفسه قال: «كنت أوّلاً ـ كما قال سيّدي ومولاي ومعتمدي أوّل الأئمة والأوصياء، وأبو الأئمة الشهداء الأولياء، قسيم الجنّة والنّار ـ آخذاً بالتقيّة ومداراة مع الأشرار، مخَلّىً عن مورد الحلاف، قليل الأنصار، مُطلِق الدّنيا، مُؤثِر الآخرة على الأولى، مولى كلّ من كان له رسول الله مولى وأخوه وابن عمّه ومساهمه في طمّه ورمّه: «طَفِقتُ أرتَئي بين أن أصولَ بيدٍ جَداءَ، أو أصبِرَ على طَخيّةٍ عمياءَ، يَهرمُ فيها الكبير، ويَشيبُ فيها الصغير، ويَكدَحُ فيها مؤمن حتّى يَلقى ربّه». فصرتُ ثانياً عِنان الاقتداء بسيرته، عاطفاً وجه الاهتداء بسنته، «رأيتُ أنّ الصبر على هاتي أحجى، فصبرت وفي العين قَذى، وفي الحلق شَجى» وكنتُ عِناني عن الاشتغال بالنّاس ومخالطتهم، وأيستُ من مرافقتهم ومؤانستهم، ومَهُلَت علَيّ معاداة الدّوران ومعاندة أبناء الزّمان، وخلصت عن إنكارهم وإقرارهم، وتساوى عندي إعزازهم وإضرارهم، فتوجّهت توجّهاً غريزيّاً نحو مسبّب الأسباب، وتضرّعت تضرّعاً جِبلّيّاً إلى مسهّل الأمور الصّعاب. فلمّا بقيت على هذا الحال من الاستتار

---

١. *الأسفار الأربعة*، ج١، ص ٧.

www.ketab.ir

والانـزواء والخمـول والاعتـزال زمانـاً مديـداً وأمـداً بعيـداً، اشـتعلت نفسـي لطـول المجاهـدات اشتعالاً نوريّاً، والتهـب قلبي لكثرة الرّياضـات التهاباً قويّاً، ففاضـت عليها أنوار الملكوت...»[1].

و له ﷺ معجزة في تتميم المسائل الغامضة وتكميلها وتبيينها، بحيث إنّه كان واحد دهره لا يدانيه أحد من الفلاسفة، بُهرت به العقول وتحيّرت القلوب. خاض أفكار المتقدّمين، وسجدت له أذهان المتأخّرين. وكان ﷺ شخصية وحيدة فريدة لسلاسةِ كلامِه وجودةِ تقريرِه وتحريرِه وحسنِ تعبيرِه، فلم يكن له نظير بين المؤلّفين والمصنّفين.

قال العلّامة المظفّر في مقدّمته على الأسفار: «بالغ في تصوير آرائه باختلاف العبارات والتّكرار حسبما يُرتّي من مقدّرة بيانيّة، وحسبما يسعه موضوعه من أدائه بالألفاظ. وهو كاتب موهوب لعلّه لم يسبق له نظيراً في عصره وفي غير عصره. وإذا كان أستاذه الجليل السيّد الدّاماد أمير البيان فإنّ تلميذه نافَ عليه وكان أكثر منه براعة وتمكّناً من البيان السهل».

كانـت كُتبـه بالنّسـبة إلـى كُتـب غيـره مـن الفلاسـفة واضحـة، وقـد جمـع بـين التّحقيق والتعميق وبين التّتبّع والمُداقّة، ولم يعجز عن الغوامض العلميّة. واعتدل في سلوكه العلميّ وفهمه للحقائق وحلّه للغوامض، وتنفّر وتنكّر للعصبيّة والغرور والكِبر في المسائل العلميّة، ولذا أوصى بهذا إلى أصحابه وتابعيه، إذ يقول: «أنشدك بالله وملكوته وأهل رسالاته أن تترك عادة النّفوس السِّفليّة من الإلف بما هو المشهور بين الجمهور، والتوحّش عمّا لم تسمعه من المشايخ والآباء، وإن كان مبرهناً عليه بالحجّة البيضاء، فلا تكن ممّن ذمّهم الله على التّقليد المحض من غير برهان، من

---

١. *الأسفار الأربعة*، ج١، ص٨.

مواضع كثيرة من القرآن، كقوله: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ* وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾[١]، فإيّاك أن تجعل مقاصد الشّريعة الإلهيّة، وحقائق الملّة الحنيفة، مقصورة على ما سمعته من معلّميك وأشياخك منذ أوّل إسلامك، فتجمد دائماً على عتبة بابك ومقامك غير مهاجر إلى ربّك...»[٢].

إبداعاته في فلسفته

أوجد الملا صدرا كثيراً من التحقيقات المتينة والمباحث الدّقيقة والجديدة في كتبه، بحيث تحوّلت الفلسفة على يديه تحوّلاً ملحوظاً. وهذه التحقيقات والإبداعات جعلته في عداد كبار الفلاسفة ومن أعلمهم وأفضلهم، وأبرزته وحيداً في ميدان الحكمة والفلسفة. وإنّي ـ إن شاء الله تعالى ـ أشير إلى أنموذج منها إجمالاً:

١. أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة وأيضاً تحقيق التامّ لوحدة الوجود ـ أهل الحكمة والمعرفة يعلمون بأنّ أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة قبله لا يبحث عنها بحثاً دَوَرانيّاً. أعني، لا يبحث عنها بأن أيكون الوجود أصيلاً أو الماهيّة؟ وإن كان يبدو في كلمات الشيخ والطّوسي «رحمهما الله تعالى»، أنهما واتباعهما من القائلين بأصالة الوجود، ولكن يوجد في كلماتهم القول بالتّباين في الوجودات في الجملة.

هذه المسألة من أهمّ المسائل الفلسفية الأولى، بحيث يتوقّف عليها حلّ أكثر غوامضها. وهو «قدس سرّه» نقل ـ في موارد عديدة من كتبه المفصّلة ـ الآراءَ

---

١. لقمان / ٢٠-٢١.

٢. *العرشية*، ص٢٨٦.

www.ketab.ir

السّخيفة والمتزلزلة والعقائد المنحرفة في خصوص هذا الموضوع، ثمّ أجاب عن كلّ واحد منها جواباً مستوفى وردّها ونقضها نقضاً وافياً.

٢. **الحركة الجوهريّة** ـ هي إحدى المسائل المهمّة في الحكمة المتعالية. إعلم، أنّ الحكماء الماضين كانوا يقولون: إنّ الحركة كانت في أربعة مقولات من المقولات العرضيّة: كمٌّ وكيفٌ وأينٌ ووضعٌ. ولكنّه قال بأنّ الحركة من خواصّ الموجود الجسمانيّ وهو لا ثبوت له أصلاً، بل الثابت أن يُجرّد من المادّة الجسمانيّة تجرّداً تامّاً والماديات متحرّكة بحسب جوهر ذاتها.

فكان الجوهر عارياً للحركة في الأعراض، أي الحركة في الأعراض معلول لسيلانه؛ لأنّ الأعراض في شؤونها وأطوارها الوجوديّة تابعة له، إذ العرض إن وُجِد وجد في الموضوع ولا استقلال في نفسه ووجوده، فاختلاف الحركة في الأعراض ناشئ من اختلاف الحركة في الجواهر الصّوريّة.

٣. **إثبات تجرّد الخيال** ـ والصّور القائمة به وإثبات المعاد الجسمانيّ، وحشر جميع عوالم الوجوديّة، وتبيين لزوم عود جميع الأشياء الى المبدأ الأعلى بالبراهين العقليّة، وعذاب القبر وكيفيّته، وسكرات الموت وغيرها من المباحث المرتّبة على النّفس ومقاماتها، وإثبات عوالم البرزخيّة في قوسَي الصّعود والنّزول الوجوديّ. كلّها من إفاضاته ورشحات أنفس هذا الرّجل العظيم، لا سابق لها من الماضين إلّا بالإجمال. ولا ريب أنّ الحكماء الماضين لا يدركون عمقها ولا حقيقتها أصلاً، بل لا يمكن لهم أن يدركوا التحقيق التّامّ والإحاطة الكاملة بجميع هذه المطالب، ولا يمكن لهم أن يُوجِدوا ربطاً بينها منطقياً، ولذا كانت تحقيقاتهم بتراء وكلماتهم فيها ناقصة.

واعلم أنّ جمهور الحكماء الإسلاميّين تحيّرت عقولهم في إثبات المعاد الجسمانيّ وحشر الأجساد؛ لأنّهم ينكرون تجرّد الخيال. منهم الشيخ الرئيس؛ فإنّه

www.ketab.ir

يحتجّ على أنّ التّخيّل بقوّة جسمانيّة بحجج ثلاث[١]. إنّه ينكر تجرّد الخيال مطلقاً، سواء كان في قوس الصعود أو النزول. أعني إنّه ينكر الخيال المنفصل، ويقول: لا يمكن أن تكون الطبائع فرداً عقلانيّاً برزخيّاً ومثاليّاً. وأنكر أيضاً القوّة المتخيّلة المسمّاة بالبرزخ المتّصل؛ لأنّ الصّعود مرتبط بالنّزول، إذ يمرّ فيض الوجود من الوجود البرزخيّ الّذي هو العالم بين العالمين وينتهي إلى المادّة، وإن لم يكن كذلك تلزم الطّفرة في نظام الوجود.

و يقول أيضاً: جميع القوى المرتبطة بغيب النفس ـ غير القوّة العاقلة ـ ماديّة، ولذا يعتقد بأنّ الحيوان وجميع قواه تنعدم بعد الموت؛ إذ يقول في الطبيعيّات من الشفاء: «إنّه لمّا تبيّن أنّ جميع القوى الحيوانيّة لا فعل لها إلّا بالبدن، ووجود القوى أن يكون بحيث تفعل فالقوى الحيوانيّة إذن إنّما تكون تفعل وهي بدنيّة فوجودها أن تكون بدنيّة فلا بقاء لها بعد البدن[٢].

و قد يثبتون التجرّد الخياليّ بأنّه النّوس النّاطقة. والعجب منه أن يقول في كتابه المسمّى بـ «المباحثات»: لا يمكن أن يكون مبدأ الخيال ماديّاً. ولمّا ينكر التشكيك الخاصّي والحركة الجوهريّة والصور العرضيّة، لا يذعن بالتجرّد الخياليّ، أو يتحيّر تحيّراً عميقاً في المسألة مثل كثير من الباحث، كعلم البارئ والتجرّد الخياليّ والمعاد الجسمانيّ وغيرها، إذ يقول في المباحثات:

«إنّ المدركات من الصور والمتخيّلات لو كان المدرك لها جسماً أو جسمانيّاً فإمّا أن يكون من شأن ذلك الجسم أن يتفرّق بدخول الغذاء عليه أو ليس من شأنه ذلك. والثاني باطل؛ لأنّ أجسامنا في معرض الانحلال والتّزايد بالغذاء. فإن قيل:

---

١ . وللطالب أن يراجع *الأسفار*، ج٨، ص٢٣٤ إلى٢٤١.

٢ . *الشفاء، الطبيعيات*، ج٢، *كتاب النفس*، المقالة الرابعة، ص١٧٨، من طبع مكتبة آية الله المرعشي.

www.ketab.ir

الطبيعة تستحفظ وضع أجسام ما هي الأصول ويكون ما ينضمّ إليها كالدواخل عليها المتّصلة بها اتصالاً مستمرّاً، ويكون فائدتها كالمعدة للتحلل إذا هجمت المحلّلات، فيبقى الأصل ويكون للأصل بها تزيّد غير جوهريّ؛ فنقول: هذا باطل، لأنّه إمّا أن يتّحد الزايد بالأصل المحفوظ أو لا يتحد به فإن لم يتّحد به؛ فلا يخلو إمّا أن يحصل في كلّ واحدة من القطعتين صورة خياليّة على حدة أو ينبسط عليهما صورة واحدة.

و الأول يوجب أن يكون المتخيّل من كلّ شيء واحد اثنين: واحد يستند به الأصل، وواحد يستند به المضاف إلى الأصل.

و أمّا الثاني، فإذا صار الزائد يبقي الباقي ناقصاً، فيجب عند التحلّل أن لا يبقى المتخيّلات تامّة بل ناقصه. على أنّ ذلك من الممتنع، فأمّا إن اتّحد الزائد بالأصل فيكون جميع الأجزاء المفترضة فيه بعد ذلك، الاتحاد في التحلل والتبدل واحداً، فحينئذ يكون الأصل في معرض التحلّل، دون الزائد في معرض التحلل. فظهر مما قلنا إنّ محل المتخيّلات والمتذكّرات جسم بعينه ويتزيّد بالاغتذاء. وإذا كان كذلك فمن الممتنع أن يبقى صورة خياليّة بعينها، لأنّ الموضوع إذا تبدل وتفرّق بعد أن كان متّحداً فلابدّ أن يتغيّر كل ما فيه من الصور، فإذا زالت الصورة المتخيّلة الأولى، فإمّا أن يتجدّد بعد زوالها صورة أخرى تشابهها أو لا يتجدّد. وباطل أن يتجدّد؛ لأنّه إذا حدث موضوع آخر كان حاله عند حدوثه كحال الموضوع الأول عند حدوثه. وكما أنّ الموضوع الأوّل عند حدوثه كان محتاجاً إلى اكتساب هذه الصّورة من الحسّ الظّاهر، فكذلك هذا الموضوع الّذي تجدّد ثانياً وجب أن يكون محتاجاً إلى اكتساب هذه الصورة. ويلزم من ذلك[1] أن لا يبقى شيء من

---

١. راجع *شرح حال فلسفی* ملّا صدرا، سيد جلال الدّين الآشتياني، زوار، مشهد، ص٦٢-٦٩.

الصّور في الحفظ والذكر، لكنّ الحسّ تشهد بأنّ الأمر ليس كذلك، فإذن الحفظ والذّكر ليسا جسمانيّين»[١].

٤. **اتحاد العاقل والمعقول** ـ أنكره الحكماء الإسلاميّون أشد الإنكار وأثبته وبرهنه صدر المتألّهين برهاناً تامّاً. منهم الشيخ الرئيس وأتباعه، لا يحصل لهم المقدمات الّتي يتوقّفها لإثبات إتحاد العاقل والمعقول.

لمّا أثبتها صدر المتألّهين بالنحو الأعلى والأتمّ أثبت اتّحاد العاقل والمعقول، وهو من نفائس الفلسفة الإلهيّة، وثمرته في موارد كثيرة جدّاً.

يتفرّق في كتبه المقدّمات الّتي يبرهنها لإثباته بل لإثبات إتحاد كلّ مدرِك بالذّات مع مدركه، إصالة الوجود، وحدوث جسمانية النّفس، واتحاد العلّة والمعلول ـ بحسب الحقيقة والرقيقة ـ وبيانِ أنّ النفس الناطقة كلّ القوى. وإثباتِ أنّ العلم ـ مطلقاً ـ يرجع على نحو من الوجود المجرّد وليس من مقولة الكيف ومن الأعراض المتأخّرة عن الوجود المفروض، وإثبات هذا المعنى أنّ النهايات هي الرّجوع إلى البدايات، وتحقيقِ أن يكون تركيب المادّة والصورة اتحاديّاً ويوجد بوجود واحد، وكذا تبيينِ أنّ الشّيء الواحد في المسالك التّدريجي يمكن أن يكون جامعَ الكمالات المختلفة ومنشأ انتزاع المعاني والمفاهيم المتعدّدة، فإن كان الوجود أقوى وأكمل، فينتزع المفاهيم المتعدّدة الكثيرة، والشيء في سلوكه التّدريجي واستكماله الجوهري يضيف الفعليّة إلى الفعليّة، ونسبة مادّة لصورة الأخرى الّتي تحصل من الاستكمال؛ والنّفسِ الناطقةِ بحسب الوجود مادّة للصّور العقليّة والخياليّة والحسّيّة. وهذه الصّور واحدة بعد واحدة، تكون منشأ استكمال الجوهريّ وقوّة وجوديّ النّفس، ولا يمكن أن تكون النّفس في بدو الوجود جوهرةً

---

١. *الحكمة المتعالية*، ج٨، ص ٢٢٨ نقلاً عن المباحثات.

www.ketab.ir

مجرّدةً متحصّلةً بالفعل، بل تكون الإدراكات ملاكاً في فعليّتها وتجرّدها.

٥. النّفس والعقل الفعّال واتحادهما ـ ينكر الحكماء الماضون اتحاد النّفس بالعقل الفعّال، منهم الشيخ الرئيس بعد إبطال العاقل والمعقول، قال في نفي اتحاد النفس بالعقل الفعّال: «وهمٌ آخر وتنبيه: وهؤلاء أيضاً قد يقولون: إنّ النفس الناطقة إذا عقلت شيئاً فإنّما يعقل ذلك الشيء باتّصالها بالعقل الفعّال، وهذا حقّ. قالوا: واتّصالها بالعقل الفعّال هو أن تصير هي نفس العقل الفعّال؛ لأنّها تصير العقل المستفاد. والعقل الفعّال هو نفسه يتّصل بالنفس، فتكون العقل المستفاد. وهؤلاء بين أن يجعلوا العقل الفعّال متجزّياً قد يتّصل منه شيء دون شيء أو يجعلوا اتصالاً واحداً به يجعل النفس كاملة واصلة إلى كلّ معقول. على أنّ الإحالة في قولهم: إنّ النّفس النّاطقة هي العقل المستفاد حين ما يتصوّر به قائمة بحالها»[1].

يبيّن الشيخ الرئيس استلزام أحد الاتّحادين ووجه الفساد فيه، وقال: إن كانت النفس تتحد بالعقل الفعّال فإمّا أن يكون العقل الفعّال جزءاً ويقبل التجزئة، وهو البسيط ولا يتركّب من الأجزاء، والتجزّي والتقدر من خواصّ الجسمانيّات والبسائط والمجرّدات الصّرفة بريء منه جدّاً. أو أنّ النفس في مقام التصوّر من الصّور العقليّة ليتصوّر جميعَ المعاني والمعقولات الموجودة في العقل الفعّال ويتعلّم بالمعاني كلّها. وذكر الشارح لمقاصد الإشارات الخواجة النصير التالي والفاسد الآخر للقول باتحادهما[2].

و قال صدر المحقّقين الشيرازي في مبحث العقل والمعقول من أسفاره إشكال القوم على اتحاد النّفس بالعقل الفعّال: «إنّ العقل الفعّال إمّا أن يكون شيئاً واحداً

---

١. *شرح الإشارات*، ج٣، ص٢٩٤.

٢. وللطالب أن يراجع *شرح الإشارات*، ج٣، ص٢٩٥.

www.ketab.ir

بعيداً عن التكثّر، أو يكون ذا أجزاء وأبعاض. والأوّل يوجب أن يكون المتّحد به، لأجل تعقّل واحد عقل جميع المعقولات؛ لأنّ المتّحد بالعاقل ولجميع المعقولات لا بدّ وأن يعقل كلّ ما يعقله وإن كان يتّحد ببعضه لا بكلّه، وجب أن يكون للعقل الفعّال بحسب كلّ تعقّل ممكن الحصول للإنسان جزء، لكنّ التعقّلات الّتي يقوى البشر عليها غير متناهية. فإذن، العقل الفعّال مركّب من أجزاء مختلفة الحقائق غير متناهية؛ لأنّ المعقولات المختلفة الحقائق غير متناهية. ثمّ كلّ من تلك المعقولات يمكن حصولها للأنفس الغير المتناهية، فيكون تعقّل زيد ـ مثلاً ـ للسّواد مثل تعقّل عمرو. فإذن، يكون للعقل الفعّال بحسبها أجزاء غير متناهية متّحدة بالنّوع، لا مرّة واحدة بل مراراً غير متناهية، كلّ منها غير متناهية متّحدة بالنّوع، وهذا مع ما فيه، مع المحالات يلزمه محال من جهة أخرى، وهو أنّ تلك المتّحدات بالنّوع لا يتمايز بالماهية ولوازمها، بل بالعوارض الممكنة الافتراق، وذلك لا يجوز إلّا بسبب المادّة، والعقل الفعّال مجرّد عنها، فأجزاؤه أولى بالتجرّد، فهي غير متمايزة بالعوارض، فهي غير متكثّرة، فالعقل الفعّال بسيط وقد فرض مركّباً، هذا خلف. فالقول باتحاد النّفس بالعقل الفعّال محالٌ. هذا ما ذكره المتأخّرون في كتبهم مطبقين على بطلان هذا المذهب، وإليه أشار الشيخ في الإشارات بعد حكاية هذا المذهب بقوله: وهؤلاء بين أن يجعلوا العقل الفعّال متجزّياً قد يتّصل منه شيء دون شيء، أو يجعلوا اتصالاً واحداً بجعل النّفس كاملة واصلة إلى كلّ معقول».

ثمّ قال في تحقيق الأمر: «هذا المذهب كالّذي قبله لمّا كان منسوباً إلى العلماء الفاضلين المتقدّمين في الحكمة والتعليم لا بدّ وأن يكون له وجه صحيح غامض يحتاج تحقيقه إلى بحث شديد وتفحّص بالغ، مع تصفية للذّهن وتهذيب للخاطر وتضرّع إلى الله تعالى وسؤال التوفيق والعون منه. وقد كنّا ابتهلنا إليه بعقولنا ورفعنا

www.ketab.ir

إليه أيدينا الباطنة لا أيدينا الداثرة فقط، وبسطنا أنفسنا بين يديه وتضرّعنا إليه طلباً لكشف هذه المسألة وأمثالها، طلب ملتجئ مُلجَأ غير متكاسل، حتّى أنار عقولنا بنوره السّاطع وكشف عنّا بعض الحجب والموانع، فرأينا العالم العقليّ موجوداً واحداً يتّصل به جميع الموجودات الّتي في هذا العالم، ومنه بدؤها وإليه معادها. وهو أصل المعقولات وكلّ الماهيات من غير أن يتكثّر ويتجزّى، ولا أن ينقص بفيضان شيء منه، ولا أن يزداد بإتصال شيء إليه. لكن موضع إثبات هذا الجوهر وأحكامه ليس هاهنا ... والّذي يليق أن يذكر هاهنا ما يسكن به صولة إنكار المنكرين لاتصال النفس بذلك العالم في إدراك كلّ معقول ويضعف به شدّة استبعادهم اياه عن سنن الصواب»[1].

٦. **علم البارئ تعالى** ـ هذه المسألة أحدى المسائل المهمّة الّتي تُبحث في الإلهيات بمعنى الأخصّ ولم يبحث عنها بحثاً تحقيقياً تامّاً في الماضين. أنّ علم البارئ في مقام الذّات قبل إيجاد الأشياء يختصّ بصدر المحقّقين، ويختصّ أيضاً ببيان مراتب العلم الفعلي للحقّ تعالى الّذي يكون عالم الوجود بحيث جميع المتغيّرات والمتحرّكات مشهوده تعالى حسبما لا يكون شيء منها مشهوده وعلمه تعالى تغيّر وانفعال.

تختلف أقوال الحكماء في علمه تعالى اختلافاً كثيراً، ونذكر المسالك المختلفة فيه إجمالاً:

أ)- قال أبو نصر الفارابي وابن سينا وبهمنيار وأبو العبّاس اللوكري وأتباعهم إن العلم التفصيلي مبدأ للصور المرتسمة في الذّات.

ب)- جميع عوالم الوجود ـ من المجرّدات والمادّيات، البسائط والمركّبات ـ

---

١. *الأسفار الأربعة*، ج٣، ص٣٣٥- ٣٣٧.